وفي تبليغ العلم إزكاء له ، وتنمية لمعطياته ، وإثراء لتناوله من قبل ذوي المستويات العقلية الجيدة .

عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : ـ

« نضّر الله امرؤاً سمع منا حديثا فحفظه ،حتى يبلغه ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه . »[1]

هذه بعض الدلائل نستقيها من السنة النبوية الشريفة إبرازاً لاهتمامها بطلب العلم وكسبه كأحد الأغراض الرئيسية الهامة في التربية السليمة ، ونلمس فيها سبقا لا نظير له سجلته السنة النبوية على واضعي النظريات الحديثة في التربية ، وسنبحث ان شاء الله تعالى هذا الموضوع بشكل أوسع في الفصل المخصص « للتربية العقلية » .

ثالثا : كسب الرزق الشريف

بتفحص السنة النبوية المطهرة نلمس اهتماماً كبيراً بالشؤون الدنيوية وربطها بالآخرة ، ولا غرو فالدين الاسلامي دين متكامل بين الروح والمادة فهو كما يرفض التحلل والتفسخ ، يرفض الرهبانية والزهد ، ويلائم في واقعية ومثالية فريدتين بين الدنيا والآخرة ، وبين العاطفة والعقل ، وبين الروح والغرائز .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ :

« يا عبد الله ألم أخبرك انك تصوم النهار وتقوم الليل ؟ » قلت : بلى يا رسول الله . قال : « فلا تفعل . صم وأفطر ، وقم ونم ، فإن لجسدك عليك حقا ، وان لعينك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا » .[2]

هذا توجيه نبوي تربوي رائع ، تتجلى فيه الموازنة المتكاملة بين قوى

---

(1) نفس المصدر / ص 360-361

(2) البخاري / جـ 7/ص 40-41

النفس البشرية واحتياجاتها . وبين دنيا المسلم وأخراه .

ولكي يحيا المسلم حياة هانئة وسعيدة ، ألزمته السنة النبوية الشريفة بأن يحرص على كسب رزقه من عمل يده ، أي من حرفة او مهنة يتعلمها فيتقنها فتكون مصدر عيشه الشريف ، وتكفيه متطلبات الانفاق على أهله ، تحفظ له ماء وجهه من ذل المسألة والهوان .

عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« لأن يغدو أحدكم فيحطب على ظهره فيتصدق به ، ويستغني به من الناس خير له من ان يسأل رجلاً اعطاه او منعه ذلك ، فان اليد العليا أفضل من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول »[1]

وفي هذا الحديث الشريف توجيه للمسلم الى طلب رزقه بكده واجتهاده واعتماده على نفسه ، وحث على تعلم حرفة او اتقان مهنة ينفق بدخلها على نفسه وعياله ، وتأكيد على رفض السنة النبوية للتواكل والكسل ، وجعلها اليد العليا وهي المنفقة خيراً من اليد السفلى وهي السائلة ، وارشاد الى عدم احتقار المهن « والحرف اليدوية » ما دامت وسيلة للكسب الشريف ، وتعود بالفائدة على الجماعة .

عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ ، قال وهو على المنبر ، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة :

« اليد العليا خير من اليد السفلى ، واليد العليا المنفقة ، واليد السفلى السائلة . »[2]

وبذلك ترمي التربية المحمدية الى خلق أجيال عاملة منتجة تحقق النفع والخير لنفسها ، ولذويها ، وللمجتمع . فبالعمل والانتاج يقوى المجتمع ويسعد الفرد وتهنأ لهما الحياة .

---

(1) مسلم / جـ 3/ص 96

(2) نفس المصدر السابق / ص 94

وجعلت السنة النبوية من أولى واجبات الآباء والمربين تعليم أبنائهم ذكوراً وإناثاً وصقل مهاراتهم وتمكينهم من اتقان الحرف والمهن التي يحتاجون اليها في حياتهم حسب قدراتهم واستعداداتهم الطبيعية .

قال رسول الله ﷺ :

« علموا أولادكم السباحة والرمي . والمرأة المغزل » .[1]

وقال ﷺ :

« حق الولد على الوالد ان يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وان لا يرزقه إلا طيبا »[2]

وتأكيداً لقيمة العمل والانتاج والحرص على المنافع ، قررت السنة النبوية أفضلية المؤمن القوي على المؤمن الضعيف : والمؤمن القوي هو الذي يحرص على ما ينفعه ويستعين بالله تعالى ولا يعجز . انه الفرد المنتج النشط المثابر الذي يداوم عمله ، ولا يفت في عضده الفشل والكبوات ، ولا يتقاعس او يعجز او يتوقف عن مواصلة الجهد او يسرف في لوم نفسه والتحسر على فشله . عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ :

« المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير . احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز . وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا . ولكن قل « قدر الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان »[3]

ولمذمة العجز والكسل وسوء أثرهما في حياة الفرد والجماعة لما ينجر عنهما من بطالة واتكالية وكساد ، فقد تعوذ رسول الله ﷺ بالله تعالى

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6/ ص 434 (رواه البيهقي في شعب الايمان عن عمر)

(2) نفس المصدر السابق / جـ 6/ص 434 (رواه الحكيم ، وابو الشيخ في الثواب والبيهقي في شعب الايمان عن : أبي رافع)

(3) مسلم / جـ 8/ص 56

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والاعتبارات المعنوية أي وزن او تقدير أمام بريق الذهب وإغراء الأموال وسيكون « التكسب » ولو بطريق غير مشروع هدفهم الأساسي في الحياة ، وفي هذه التنشئة الخاطئة ضياعهم ودمار مجتمعهم .

وبهذه الأغراض الرئيسية وغيرها تهدف التربية الى تنشئة الفرد تنشئة متكاملة ، يتم بها تنمية عقله وصقل مواهبه وقدراته وميوله وسمو غرائزه ونوازعه الفطرية والمكتسبة ، وتهذيب أخلاقه ، وترقية وجدانه ، واتزان نفسه ، وصحة بدنه ، وهو ما من شأنه ان يجعله عضواً صالحاً في مجتمعه ، سعيدا وقادراً على إسعاد غيره ، نافعا لنفسه وللآخرين ، قادرا على مجابهة مشاكل الحياة وتخطيها أو التكيف معها ، ذا اتجاه ايجابي ، وعزيمة ثابتة ، ومقدرة على الصبر والاحتمال متصفا بتكامل جوانب الشخصية الى أقصى حد ممكن .

ولو أمعنا النظر في هذه الأغراض الرئيسية للتربية في ضوء السنة النبوية المطهرة لوجدناها تقرها وتثريها وتنظر اليها وفق ميزان الاعتدال والتكامل بين الجانبين الروحي والمادي في النفس البشرية ، وتحول دون أي غلوّ أو إسراف فيها .

وفيما يلي سنحاول إبراز اهتمام السنة النبوية المطهرة بهذه الأغراض الهامة ، ونبين موقفها منها .

أولا : التحلي بمكارم الأخلاق

تعتبر ترقية الأخلاق والسمو بها وكسب الفضائل والصفات المحمودة والتحلي بالآداب الكريمة ، وصون المثل والقيم والمبادىء الشريفة ، تعتبر روح التربية في نظر السنة النبوية المطهرة ، ذلك ان بلوغ الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي للتربية المحمدية .

فقد كان سيدنا محمد ﷺ المثل الكامل في الأخلاق الكريمة ، حتى انه

لقب من قبل بعثته ، « بالأمين » ولا غروَ فقد أدّبه ربه فأحسن تأديبه . وقد سَبَّقَ الله عزّ وجلّ الخلق الحسن على ما عداه ، فقال مخاطباً نبيه مثنيا عليه : ﴿ وانك لعلى خلق عظيم﴾[1]

وأوضح لنا رسولنا الخاتم ﷺ ان رسالته انما استهدفت أول ما استهدفت ، إتمام حسن الأخلاق .

عن مالك أنه بلغه ان رسول الله ﷺ قال : ـ
« بعثت لأتمم حسن الأخلاق »[2] .

وأمرنا رسولنا الأكرم ﷺ وكان أسوة لنا في كل شيء ـ بمخالقة الناس بالخلق الحسن ، أي حسن معاملتهم وعشرتهم .

عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ :

« إتق الله حيثما كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن »[3] .

وجعلت السنة النبوية المطهرة الخلق أساس تقييم الأفراد فخيرهم أحسنهم خلقا وشرهم أسوأهم خلقاً .

عن عبدالله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ :
« إن من أخيركم أحسنكم خلقا »[4]

وهكذا نلمس ان السنة النبوية تجعل « السمو بالأخلاق » وترقيتها ، والتحلي بفضائلها وآدابها وصون قيمها ومثلها تجعلها أهم مقاصد التربية المتكاملة وجعلت هذه المهمة الجليلة من مسؤوليات الآباء والمربين ، الذين ينبغي ان يحملوها بحقها منذ بداية تعهدهم للناشئين في طفولتهم المبكرة

---

(1) القلم / 4
(2) مالك / الموطأ / ص 651
(3) الترمذي / جـ 8 / ص 155 (وقال عنه : حديث حسن صحيح)
(4) البخاري / جـ 8 / ص 15

بالتربية والرعاية حرصاً من السنة النبوية على ترسيخ القيم والمبادىء والمثل الأخلاقية العليا في نفوسهم منذ صغرهم حتى تصبح من أساسيات طبعهم ، ومن مألوف سلوكهم ومعتاد تصرفاتهم في حياتهم المستقبلة .

قال رسول الله ﷺ :

« حق الولد على والده ان يحسن اسمه ، ويحسن موضعه ، ويحسن أدبه » .[1]

هذه لمحات ، بل ومضات من نور السنة النبوية الشريفة ، التي أكدت أهمية تكوين الخلق الفاضل القويم ، وجعله مقياس التربية الفاضلة ومعيار نجاحها ، وسيتضح لنا الأمر بصورة أوسع عند بحث موضوع التربية الخلقية في فصلها المستقل إن شاء الله تعالى .

ثانيا : كسب العلم النافع

من أهم أغراض التربية التي تحرص على تأكيدها السنة النبوية « طلب العلم النافع وكسبه » ، وذلك لما فيه من خير وصلاح الفرد والمجتمع .

وقد جعلت السنة النبوية خيار الناس علماءهم ، وشرهم علماءهم عن الأحوص بن حكيم عن أبيه قال: سأل رجل النبي ﷺ عن الشر فقال : « لا تسألوني عن الشر واسألوني عن الخير » . يقولها ثلاثا ثم قال : « إلا أن شر الشر شرار العلماء وأن خير الخير خيار العلماء ».[2] . وكان من بين ما تعوذ منه رسول الله ﷺ ـ توجيها وإرشادا لنا ـ العلم الذي لا ينفع .

---

(1) المتقى / منتخب كنز العمال / جـ 6 / ص 428 ، « رواه البهيقي في شعب الايمان عن عائشة » .

(2) الدارمي / السنن / جـ 1/ ص 104.

عن زيد بن أرقم قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان يقول : « اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل ، والجبن والبخل والهرم ، وعذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها ».[1]

وحثت السنة النبوية أتباعها على طلب العلم ، بل وجعلته طريقا الى الجنة ترغيبا لهم ، وإثارة لحماسهم ، ودعوة لهم لربط الايمان بالعلم ، وترسيخ إيمانهم على أساس من الادراك الواعي ، والفهم المتبصر بآيات الله تعالى في كل شيء .

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

« من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة »[2]

وجعلت السنة النبوية طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، لا فرق في طلبه وكسبه بين المسلمين غنيهم وفقيرهم أو عبدهم وأميرهم . كل عليه ان يلتمس طلب العلم ، واكتساب المعرفة والحكمة وفق فرص متكافئة عادلة . عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم »[3]

وعلى كل مسلم ان يسعى الى طلب العلم ممن كان وفي أي مكان وان يتحمل في سبيله المتاعب والمشاق .

عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ :

« اطلبوا العلم ولو بالصين ، فان طلب العلم فريضة على كل

---

(1) مسلم / جـ 8/ ص 82,81

(2) الترمذي / جـ 10/ص 115 (وقال عنه حديث حسن)

(3) ابن عبد البر / جامع بيان العلم وفضله / جـ 1/ص 8

ثانياً : العقاب

العقاب بشتى أنواعه: إحدى وسائل التربية التي لا ترتاح اليها النفس البشرية، ولا ينظر اليها احد بعين الرضا والقبول.

ولكنه مع ذلك قد يكون ضرورة من ضرورات التربية، يلجأ اليها « الوالد » أو « المربي » أو « المسؤول » عندما تعوزه الحيلة ولا يجد بدا من معاقبة المسيء لردعه عن تكرار اساءته، وارتداع غيره من النظراء بالعقوبة الموقعة عليه.

ويرى كثير من الباحثين التربويين ان العقاب قد لا يفلح في تغيير سلوك الناشىء على النحو المرغوب فيه، وباقتناع منه بخطأ مواقفه.

فالاكثار مثلا من العقاب واللوم والتوبيخ قد يجعل الطفل يعتاد عليه، فلا يؤثر فيه، ولا يجعله يرعوي عما يقع فيه من أخطاء.

ويقول الامام الغزالي في شأن توجيه الطفل المسيء:
« ولا تكثر القول عليه بالعتاب في كل حين، فإنه يهون عليه سماع الملامة، وركوب القبائح، ويسقط وقع الكلام من قلبه. »[1]

والأسلوب الأفضل تربويا هو التسامح مع الطفل عندما يخطىء في المرة الأولى ، وعدم هتك سرّه بعتابه علنا أمام نظرائه مما يجعله يستشعر المهانة والذلة ، واذا كان لا بد من عتابه فليكن سرّاً مع توجيهه وترشيده حتى يقتنع بخطئه فيعمل على تلافيه ، من نفسه ، مستقبلا .

ولا نستغرب أن تقود التربية القاسية ، القائمة على أسلوب العقاب ، الى خلخلة شخصية الناشىء ، ودفعه الى أن يكون منطويا سلبياً ذليلاً

---

(1) الغزالي / إحياء علوم الدين / مجلد 2/ جـ 8/ ص 1469

خانعاً ، أو الى أن يكون متمردا عاصياً متعجرفا مخرباً كلما سنحت له الفرص ، كما قد تحمل الناشىء على الكذب والمكر والمخادعة وإظهار ما لا يبطن ليغطي أخطاءه بغية النجاة من العقاب ، وهو ما يفسد أخلاقه وينقص من كرامته واعتزازه بذاته فيصبح عضواً مشلولاً في الجماعة غير صالح لنفسه أو لغيره .

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون :

« . . . ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين او المماليك أو الخدم ، سطا به القهر وضيّق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه الى الكسل ، وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بغير ما في ضميره ، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه ، وعلّمه المكر والخديعة لذلك ، وصارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وهي الحميّة والمدافعة عن نفسه او منزله ، وصار عيالا على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل ، فانقبضت عن غايتها ومدى انسانيتها ، فارتكس وعاد في أسفل السافلين »[1]

ومهما يكن من تباين الآراء في شأن العقاب ، فان على الآباء والمربين مراعاة أن يكون العقاب من جنس الذنب المقترف أو الخطأ المرتكب ، بلا قسوة أو عنف وإلاّ أدى الى عكس ما يقصد منه ، وتسبب في تمرد « المعاقب » وحقده ، أو الى خديعته ومكره ، بدلا من أن يكون العقاب بأنواعه وسيلة للردع والتقويم والعبرة .

ولذلك فإن من واجب الآباء والمربين اذا اضطروا الى توقيع العقاب على الناشئين : بلوم او توبيخ أو عتاب ، أو حرمان من ميزة معينة ، مراعاة عدة أمور عامة نذكر منها :

ا— مراعاة العدالة في توقيع العقاب ، بحيث تكون العقوبات الموقعة متمشية مع روح العرف أو النظام او القانون او اللوائح وحرفيتها ،

---

(1) ابن خلدون / المقدمة / ص 1043

تجنباً لأي زيادة أو مبالغة فيها .

2— مراعاة تناسب العقوبات مع مستوى الذنب او الخطأ . وأن تستهدف أساسا تقويم المسيء المنحرف او المهمل ، وتذكيره وتنبيهه الى عدم العود ، لا إشعاره بالكراهية والانتقام منه .

3— مراعاة الحالة النفسية « للمعاقب » ، وظروفه الشخصية والبيئية . ومعرفة ما اذا تكرر وقوعه في نفس الذنب أو الخطأ . وتعود على ارتكابه ، أم كان من غير قصد منه ، فالعقاب كأسلوب تربوي تلجيء اليه الضرورة يجب أن يقود الى التقويم والاصلاح ، وإلا فإنه لا خير فيه .

4— مراعاة « النزاهة » في توقيع العقوبات على المخطئين بغض النظر عن مشاعر منفذي العقاب تجاههم . فلا إسراف في العقاب لكره المخطيء ، ولا تخفيف فيه لمحبته ، فموقع العقاب ، أباً كان أم مربياً ، إنما هو في نظر الناشيء « خصم وحكم » في آن واحد .

5— مراعاة أن يكون في « العقاب » عظة وعبرة للآخرين ، دون تشدد فيه أو قسوة . فاذا ما تسبب طفل في إتلاف بعض الأشياء في المنزل فقد يكفي حرمانه من بعض المزايا كالمصروف المعتاد لعدة أيام ، أو حرمانه من التنزه ونحو ذلك . واذا ما تسبب تلميذ في كسر بعض الأشياء في المدرسة مثلا فيكفي دفع ثمنه او استبداله بغيره ، وفي هذا العقاب ردع للمخطيء ولنظرائه عن العودة الى مثله .

6— مراعاة أن يكون العقاب من جنس الخطأ او الذنب ، حتى يستشعر الطفل العدالة في توقيعه عليه ، ويقتنع بخطئه فيحاول ألا يكرره مرة ثانية . فمثلا يكفي أن يعاقب طفل يزاحم أخوته في الدخول الى إحدى غرف البيت ، او يزاحم زملاءه في الدخول الى الفصل ، بأن يكون آخر من يدخل ، ففي هذا العقاب ردع له ولنظرائه من الوقوع في مثله ، مرة أخرى .

7— إفهام الناشئين بالأسباب التي دفعت الى معاقبتهم ، وتوضيح

الأسلوب النبوي الشريف
« في التربية »

يراعي الأسلوب النبوي الشريف في التربية ، خصائص النمو العقلي والنفسي والوجداني لدى الأفراد ، ومستوى إدراكهم ، والحوافز المؤثرة فيهم ، والدوافع التي يمكن ان تثير مشاعرهم ، وتهيء نفوسهم للتلقي والتعلم ، مع احترام مبادءاتهم الشخصية ونشاطهم الذاتي ومشاركتهم الفعالة في عملية التعليم والتربية بفهم ووعي وتبصر ، وليس عن طريق التلقين وحشو الأذهان بالمعلومات والمعارف دون فهمها واستيعابها .

وبذلك نجده أسلوبا حيّاً وفعالاً ، وغاية في الروعة والاعجاز ، سابقا لما توصل اليه الفكر التربوي في العصر الحديث من أسس وقواعد لا بد من اتباعها في تربية الناشئين تربية متكاملة وسوية .

ونستعرض فيما يلي بشيء من الايضاح ، أهم جوانب الأسلوب النبوي الشريف في التربية .

أولا : أسلوب النصح والارشاد

من الأساليب المؤثرة في توجيه الانسان ، أسلوب الوعظ والنصح والارشاد ، خاصة وأن كل امرىء يمكن ان يتأثر بنصائح الأحباب والأقارب والأصدقاء ، وكل من هو أكثر منه دراية وخبرة وعلما وفهما . وللنصيحة او الموعظة أثرها النفسي الكبير في الانسان اذا كانت صادرة عن شخص محبوبٌ لديه تربطه به علاقة المودة والاحترام والتقدير ، ويطمئن الى نصحه وإرشاده ، ويشعر بنبرات الصدق والاخلاص فيه

Converted by tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وكثيرا ما أصلحت الموعظة المخلصة والنصيحة الواعية من كانوا على غير هدى ، ومن كانوا على وشك الضياع .

وقد ركز الأسلوب النبوي الشريف على أهمية الموعظة والنصيحة والارشاد الهادف لما له من أثر فعال في التربية .

فأوجب رسول الله ﷺ النصيحة الخالصة الصادقة على جميع المسلمين تجاه بعضهم بعضا ، ورفعا لشأنها فقد عرّف بها الدين ، وقرن النصح لعامة المسلمين بالنصح لله ولكتابه ولرسوله .

* عن تميم الداري ان النبي ﷺ قال :
« الدين النصيحة » قلنا : لمن ؟ قال :
« لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »[1]

وجعل رسول الله ﷺ من حق المسلم على المسلم ان ينصحه اذا استنصحه وطلب منه إرشاده في أي شأن من شؤونه يمكنه توجيهه فيه .

* عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :
« حق المسلم على المسلم ست » قيل ما هن يا رسول الله ؟
قال : « إذا لقيته فسلم عليه ، واذا دعاك فأجبه ، واذا استنصحك فانصح له ، واذا عطس فحمد الله فسمّته واذا مرض فعده ، واذا مات فاتبعه »[2]

وباشر رسول الله ﷺ أسلوب النصح والارشاد للمسلمين فيما يعنيهم من أمور دينهم ودنياهم ، بل وفي أخص شؤونهم حتى يتلافوا أية أخطاء قد تسبب لهم ضرراً .

* عن أبي هريرة قال : كنت عند النبي ﷺ فأتاه رجل فأخبره انه

---

(1) مسلم / جـ ١/ص 53
(2) مسلم / جـ 7/ص 3

تزوج امرأة من الانصار ، فقال له رسول الله ﷺ : « أنظرت اليها ؟ » قال : لا . قال : « فاذهب فانظر اليها فإن في أعين الأنصار شيئاً »[1]

وكان رسول الله ﷺ كلما رأى خطأ في سلوك المسلمين أو في تصرفاتهم ينصحهم بتركه ويرشدهم الى السلوك السويّ والتصرف اللائق .

* عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :
« لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ، ثم يجلس فيه . »[2]

وكان يرشدهم الى الأدعية الصالحة التي تقوي عقيدتهم وترسخ إيمانهم ، وتشبع في نفوسهم السكينة والطمأنينة والسلام .

* عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال :
« إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم إني أسلمت وجهي اليك ، وفوضت أمري اليك ، والجأت ظهري اليك رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ منك إلّا اليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت . واجعلهن من آخر كلامك ، فاذا متّ من ليلتك متّ وأنت على الفطرة »[3]

ولم يمتنع رسول الله ﷺ عن تقديم النصيحة لكل من طلبها ، مع مراعاة حالته النفسية الخاصة .

* عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال للنبي ﷺ أوصني . قال « لا تغضب » فردد مرارا . قال « لا تغضب »[4]

فكأن رسول الله ﷺ لاحظ على السائل كثرة غضبه ، فردد مراراً

---

(1) مسلم / جـ 4/ص 142
(2) البخاري / جـ 8/ص 75
(3) مسلم / جـ 8/ص 77
(4) البخاري / جـ 8/ص 35

نصيحته له بترك الغضب ، وفي هذا الحديث إيحاء بضرورة مراعاة الظروف النفسية والمزاجية لمن يقدم اليهم النصح أو الوعظ أو الارشاد .

وأنذر رسول الله ﷺ بالعقاب الأليم يوم القيامة كل صاحب علم وخبرة ودراية لا يقدم النصيحة المفيدة لمن يحتاج اليها .

* عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة »[1]

ومما يزيد في تأثير « النصيحة » نفسيا على الأشخاص شعورهم بالتزام « الناصح » بتطبيق ما يبديه من نصح وإرشاد للآخرين . ولا تأثير لناصح لا يلتزم بتطبيق نصائحه لغيره ، ولا خير في آمر بالمعروف وتاركه ، وناهٍ عن المنكر وآتيه .

* عن أسامة بن زيد . . سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحيّ ، فيجتمع اليه أهل النار فيقولون : يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول : بلى . قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهي عن المنكر وآتيه . »[2]

ولا بد أن يراعى في النصح والارشاد أسلوب التيسير واللين ، وإشعار المنصوح بالمودة والعطف ، والابتعاد عن التعنيف والذم والسباب الذي يؤدي الى النفور والكراهية .

* عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ :

« يسروا ولا تعسّروا ، وسكّنوا ولا تنفروا » .[3]

وقال تعالى :

---

(1) ابو داود / جـ 3/ص 360
(2) مسلم / جـ 8/ص 224
(3) البخاري / جـ 8/ ص 36

﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾[1]

هذا باختصار بعض ما تراه السنّة النبوية في شأن أهمية أسلوب النصح والارشاد في « التربية » ، والذي يشترط فيه عدة شروط أساسية ـ تضمنتها الأحاديث السابق ذكرها ـ حتى يؤتي ثماره ، نذكر منها :

1ـ لا بد من توفر الصدق والاخلاص في النصيحة والارشاد والتوجيه ، وإحساس الناصح بمسؤوليته الدينية والخلقية فيما يقدمه من نصائح وإرشادات وتوجيهات الى غيره ممن يحتاجون اليها ، ويرى أنها تساعدهم على حل مشكلاتهم والتغلب على صعوباتهم .

2ـ أن يكون الناصح من أهل الدراية والعلم والمعرفة والتجربة والخبرة في المجال الذي يقوم فيه بالنصح والارشاد والتوجيه . وألا يقدم نصائحه بناء على افتراضات شخصية قد تضر أكثر مما تفيد .

3ـ أن يراعي الناصح الحالة النفسية والمستوى العقلي لمن يقدم اليه نصحه وإرشاده ، بحيث يقدر ظروفه ، ويتفهم مشاكله ، وينتهج أفضل السبل الموصلة الى اقناعه ، والتأثير فيه إيجابيا ، وهذا لا يتم إلاّ بأسلوب التبشير والتيسير والملاطفة ، واجتناب أسلوب التقريع والتوبيخ واللوم الشديد لما فيه من تنفير وتحقير .

4ـ أن يكون الناصح من الملتزمين في سلوكهم وتصرفاتهم ونهجهم في الحياة بالقيم والمبادىء والمثل التي يدعو اليها ، ويوجه الآخرين الى الأخذ بها ، فلا تأثير ايجابياً يرجى من امرىء يخالف فعله قوله ، وسلوكه نصائحه .

5ـ ان النصح والارشاد واجب ديني واجتماعي على كل فرد مؤهل له لا

---

(1) لقمان / آية 13

الثواب والعقاب
« وأثرهما في التربية »

تنبنى القيمة التربوية « للجزاء » بشقيه : الثواب والعقاب على أساس إثابة المحسن على أفعاله الطيبة وسلوكه المحمود ، ومعاقبة المسيء على أفعاله السيئة وسلوكه المرذول ، مع مراعاة ألاّ يكال الثواب او العقاب بغير حقّ ، وأن يكونا في مستوى الاحسان والاساءة ، حتى يحققا الهدف المنشود منهما ، وهو تشجيع المحسن على المزيد من الاحسان ، وإرجاع المسيء عن الانسياق في الاساءة .

ان الجزاء ثواباً كان أو عقاباً لا بد أن يوقع بعدل ونزاهة ، فلا يستفيد منه محسن ، أو يتضرر مسيء ، بغير وجه حق ، فهذا من شأنه ان يدفع الأول الى التحايل او التملق ، ويدفع الثاني الى الانطواء أو التمرد ، فيقع المربي ، في خاتمة المطاف ، في نتائج تربوية سيئة قد تصعب معالجتها ودرء مخاطرها ، لأنه يربي كائناً بشرياً قادراً على تلوين سلوكه وتصرفاته ومواقفه الخارجية ، قد يظهر خلاف ما يبطن ، فيبدي الطاعة بينما هو يضمر التمرد ، ويبدي الانقياد بينما يخفي العصيان ، وهو ما قد ينفجر مرة واحدة وفجأة ، عندما تتهيأ له الظروف الملائمة ، وخاصة عندما يكبر وينضج ويشعر بالنزعة الاستقلالية عن الآباء والمربين .

ومن هذا المنطلق فان من واجب الآباء والمربين مراعاة عدم الافراط او التفريط في كل من الثواب والعقاب لما في مجانبة الحكمة في إكالتهما من نتائج وخيمة تنعكس في تشكيل شخصية الناشيء وتطبعها بسمة الضعف

والانطوائية ، أو بسمة التمرد والعصيان ، وهما أمران غير مرغوب فيهما في تكوين « الفرد » الذي تستهدف التربية الصحيحة جعله عضواً صالحاً في الجماعة ، قادراً على الاعتماد على نفسه ، وشق طريقه في الحياة بثقة وصلابة ومواجهة ما يعترض سبيله من مشاكل وعقبات والتغلب عليها ، أو حسن التكيف معها بما يجنبه الاضطراب والصراع النفسي ، ويجعله سعيداً في حياته .

ولمزيد من الايضاح ، نناقش في ما يلي ، شقي الجزاء : الثواب والعقاب ، كُلاً على حدة .

أولا ـ الثواب :

للثواب أثر كبير في تربية الناشئين ، بل وفي تحفيز الراشدين أيضا .

وقيمة الثواب التربوية تتمثل في كونه يحفز الناشىء ويشجعه على معاودة « الأفعال » التي يثاب عليها ، ويجعل السرور والابتهاج الذي يحصل في نفسية المثاب دافعاً له على تكرار النتائج المحمودة التي حققها في مختلف أوجه نشاطه .

وهذا ما أكده علماء النفس التربوي الذين يرون انه لكي يتم ثبات وتحسين استجابات الفرد :

« لا بد من توفر عامل الجزاء Reward فالاستجابات اذا لم تؤد الى نوع من الترضية او الجزاء أو الاشباع فإن الفرد لا يحاول تكرارها »[1]

وبذلك فإن أسلوب الثواب يحقق نتائج تربوية ايجابية أفضل من تلك التي يحققها أسلوب العقاب .

وقد أثبتت التجارب « أن العقاب والثواب لا يتساويان في أثرهما ، فأثر الثواب عادة أقوى من أثر العقاب »[2]

---

(1) د. مصطفى فهمي / الانسان وصحته النفسية ص /239

(2) د. سعيد جلال / المرجع في علم النفس / ص 570.

ومرد ذلك الى أن آثار الثواب دائما سارة ، أما آثار العقاب فهي مؤلمة .

ويفضل استعمال « الثواب » كوسيلة جيدة في التعليم والتربية على العقاب لأسباب هامة نذكر منها :

1— يدفع « الثواب » الفرد الى اعادة وتكرار النجاح في أعماله ونشاطه ، وذلك لأثر النتيجة الحسنة في نفسه ، وسروره بها وقد قيل : لا شيء يدفع للنجاح كالنجاح !

2— في الوقت الذي يحفز فيه الثواب الفرد على مداومة الأعمال والأنشطة التي أثيب على نجاحه فيها ، فالعقاب لا يمنعه من الوقوع مرة اخرى في الخطأ الذي عوقب عليه ، بل قد يثبت لديه الزلات والعيوب .

فقد أثبت بعض تجارب العيادات السيكولوجية (النفسية) ان عقاب الطفل على بعض الحركات العصبية كقضم الأظافر او فرقعة الأصابع ، او دعك الأنف ، قد يؤدي الى تثبيتها بدلا من إزالتها .

3— الثواب عادة ما يكون أوضح لدى الفرد من العقاب ، فالطفل الذي يردع من أجل خطأ ما دون ان يوضح له ، أو يرشد الى ما يجب عليه فعله حتى يتلافاه ، قد يكرر ثانية نفس الخطأ ، ويقوده عقابه عليه من جديد الى الاضطراب والصراع النفسي .

4— يدوم أثر الثواب أكثر مما يدوم أثر العقاب ، فالمرء ميال الى استعادة الذكريات السارة واللحظات السعيدة ، بينما يكره تذكر الآلام ولحظات الشقاء ويكبتها في اللاشعور .

5— يدفع الثواب الطفل الى محبة الشخص الذي أثابه ، والداً كان أم معلماً أم رائداً ، وحسن بناء العلاقة معه واحترامه وحب « النشاط » أو العمل الذي يكلفه به ، بينما قد يكره الطفل الشخص الذي أوقع عليه العقوبة ، وكل ما يمت له بصلة من نشاط أو عمل . فقد يكره تلميذ ما مادة ما لكراهيته لمدرسه الذي عاقبه بضرب أو بطرد أو توبيخ مقذع أمام

زملائه .

وبناء على ما تقدم فان « الثواب » من أفضل الوسائل التربوية في إشباع حاجة الناشىء الى الحب والتقدير والثناء والقبول الاجتماعي ، ودفعه وتشجيعه بالتالي على معاودة الاحسان في الانشطة والأعمال التي يحقق له النجاح فيها ما يحتاج اليه من إشباع لحاجاته النفسية . وهو ما نادى به كثير من علماء النفس والتربية والاجتماع ، وفي مقدمتهم الامام الغزالي بقوله :

« ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل ، وفعل محمود ، فينبغي ان يكرم عليه ، ويجازى بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس . »[1]

على أنه لا بد من التذكير بمراعاة عدم منح الثواب بغير وجه حق ومراعاة . عدم الزيادة والاسراف فيه ، حتى لا يؤدي الى نتائج تربوية وخيمة .

ويجب على الآباء والمربين ان يراعوا في استعمال أسلوب الثواب بعناصره المختلفة ، معنوية كانت أم مادية ، عدة نقاط هامة نذكر منها :

1— عدم الاسراف في استعمال عبارات المدح والاطراء والثناء والاستحسان حتى لا تفقد قيمتها التربوية ، أو تأثيرها الفعال ، او تقود الى الغرور والمباهاة الكاذبة بين الناشئين .

2— مراعاة ألّا يكون الثواب نوعا من الرشوة ، المعنوية او المادية ، حتى لا تدفع الطفل الى السلوك الابتزازي او الانتهازي او النفعي ، الذي يجعله لا يقوم بالعمل لذاته ، ولكن للفائدة التي تعود نيلها على أدائه ، وهو ما قد يفرغ أعمال الطفل وسلوكه من مضمونها الروحي والأخلاقي . واذا ما قلت اثابته او انقطع تكريمه عليها ، تقاعس عن أدائها مع أنها قد تكون من أخص واجباته والتزاماته .

---

(1) الغزالي / احياء علوم الدين / مجلد 2/جزء 8/ص ص 1469